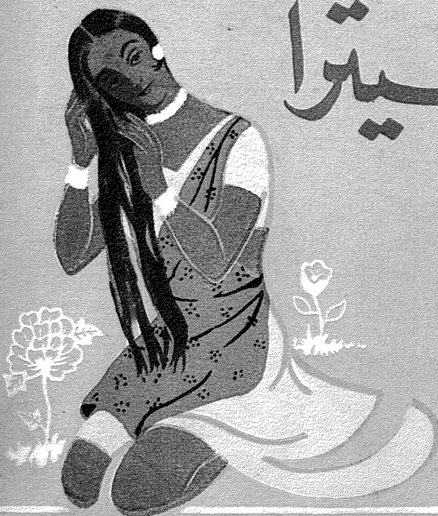




رابندرانات طاغور

بمناسبة العيد المئوى لمولده

شيترا



نقله إلى العربية
الدكتور بديع حقى
راجعه
مصطفى حبيب

اهداءات ٢٠٠٢

د/ محمد عبد الفتاح الغمراوى

الاسكندرية

الألف كتاب (٣٤٨)

شيترا

بإشراف
الادارة العامة للثقافة
وزارة التربية والتعليم
الاقليم الجنوبي

تصدر هذه السلسلة بمعاونة
المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

شيترا

تأليف

رابندرانات طاغور

ترجمه

الدكتور بديع حقي

راجعه

مصطفى حبيب



دار القلم

١٩٦١

هذه ترجمة كتاب :

CHITRA

تأليف

Rabindranath Tagore

طاغور الشاعر الإنسان

تحتفل البشرية كلها فى هذه الأيام بالشاعر الفذ الذى سخر قلمه لخدمة الإنسان وتثبيت حقوقه ـ وهو عرفان خليق أن يشارك فيه بقلبه كل إنسان يؤمن بنفسه وبقيمته ، ومن ثم فليس عجيبا أن تجتمع القلوب على إحياء ذكرى الشاعر الإنسان رابندرانات طاغور فى كل بقاع الأرض، فلقد كان طاغور المنافح عن الإنسان فى كل مكان بذوب قلبه وعصارة ذهنه ، لا يعرف فى دفاعه حدودا ولا سدودا ، ولا يفرق فى تقديره للإنسان بين جنس وجنس ولا بين لون ولون ولا بين دين ودين . كان الإنسان عنده هو الإنسان فى أية صورة ركب وفى أى أرض نشّىء . كان يرى الإنسان قدسيا لأنه الصورة التى تتجلى فيها قدرة القادر وعظمة الخالق على الأرض ـ كان يحب الإنسان ـ أى إنسان ـ ويقدس حقه ويجهد فى سبيله . لم يفقد قط حتى فى أحلك ساعات حياته إيمانه بالإنسان، ولم ين قط عن السعى الدائب فى سبيل تحقيق سعادة الإنسان .

تلكم المزية التى انفرد بها طاغور هى التى جعلت الأبصار كلها تتجه إليه فى هذه الأيام لتنفض عن ذكراه غبار السنوات التى مرت.ولتعيد إلى الأذهان عهده الذى كتبه فى أخريات أيامه وتركه تراثا حيا خالدا للإنسانية لتتأمل فيه كلما حزبها الأمر واشتد بها الخطب واحلولكت الظلمات . ظلمات المادة التى ارتكست فيها البشرية من أسف منذ سنوات طوال . لعل صيحة هذا الشاعر من وراء الأبدية تجد من يصيخ

لها السمع ويفتح لها القلب عن إيمان بها ، فيعمل على أن يعيد للبشرية اتزانها وإيمانها بالقيم الإنسانية التى تحتفى بالمادة وتقدر الروح حق قدرها ، بلا إسراف فى الأولى أو تطفيف فى الثانية ... لقد كتب طاغور فى رسالته الأخيرة يقول :

« مهما يكن من شيء فإنى لن أرتكب الخطيئة الخطيرة : خطيئة فقدان الإيمان بالإنسان ، والرضوخ للهزيمة التى حاقت بنا فى الوقت الحاضر على اعتبارها نهائية وحاسمة . بل سأظل أتطلع بأمل إلى تحول فى مجرى التاريخ ، بعد أن تنجاب هذه الغمة الجاثمة وتصفو السماء ثانية وتهدأ . وربما بزغ الفجر الجديد من أفقنا هذا ، أفق الشرق ، حيث تشرق الشمس . وعندئذ تهب روح الإنسان التى لم تهزم لتقوده من جديد إلى طريقه ، طريق التقدم رغم كل العوائق ، ليسترد تراثه الضائع » .

هذه الرسالة : رسالة الإيمان بالإنسان وبروح الإنسان ، والإيمان بأن البعث الجديد سيأتى من الشرق . . هى التى تغنى بها طاغور فى شعره وموسيقاه ، وهى التى تمثل لب فلسفته كلها ـ هذه النبوءة التى أرسلها هذا العبقرى بعد أن كشف أسرار الوجود بنغماته التى استوحاها من قلب الطبيعة الذى نفذ إليه ببصره واستكنه حقائقه ببصيرته وإخلاصه . . قد بدأت تتحقق ، وأخذ الشرق ينتفض انتفاضات أيقظت شعوبه من غفوة رانت عليها ، فهبت تبدد الغيوم الحالكة التى خيمت فى سمائها ، وترسل قبسات من الضوء الكاشف تؤذن بانبلاج الفجر وبزوغ النور الهادى من قلب المشرق ليهدى البشرية ويقودها إلى الطريق السديد الذى بشر به طاغور . . . وإنه لتوفيق أى توفيق أن يتسنم الشرق مكان

الهداية إلى الحق والخير والجمال فى هذه الأيام التى يكتمل فيها قرن على مولد شاعر الإنسان والحق والخير والجمال رابندرانات طاغور .

من أجل هذه المعانى ومن أجل هذه الدعوة إلى تقديس الإنسان ورعاية حقه يحتفل الشرق والغرب بذكرى طاغور . . وطاغور نسيج وحده ، فقد جمع إلى حكمة الشرق ثقافة الغرب ، وإلى عراقة الأصل وشرف المحتد الإيمان العميق بالشعب وبالجماعة الإنسانية ، وإلى زكانة القلب ورجاحة العقل ذلاقة اللسان وطيب المعشر ، وإلى علو المكانة شرف الجهاد من أجل حرية بلاده واستقلالها .. وهو بهذا كله قد احتل مكانا فريدا فى تاريخ الهند الحديث ، بل وفى تاريخ الشرق كله ، حتى استحق بحق أن ينعت بأنه أعظم فنان فى العصر الحديث ، وأن تخلع عليه جائزة نوبل فى عام ١٩١٤ .

لقد ولد طاغور فى السابع من شهر مايو سنة ١٨٦١ بمدينة كلكتا فى أسرة موسرة ذائعة الصوت ذات تاريخ مجيد وجذور عميقة فى عالم الثقافة ودنيا الأدب والسياسة . فكان جده راعيا للفنون والآداب فى عصره ، وكان أبوه من أعظم المصلحين الاجتماعيين ، وكان من أسرته النابغون فى الرسم والموسيقى والأدب .. هذا التراث الثقافى الوفير الغناء الذى أخذه عن آبائه وأجداده مضافا إلى مواهبه الفريده قد خلق منه عبقريا فذا متعدد الجوانب مكتمل النبوغ ، وهيأ له التحليق فى كل ميدان إلى القمة ، فكان بين الشعراء أخلهم ، وبين المسرحيين أنبغهم ، وبين الفنانين أرقهم ، وبين الموسيقيين أحلاهم ترجيعا ، وبين المصلحين أشجعهم رأيا وأدقهم بصرا بالأمور ، وبين المربين أعلمهم، وبين الوطنيين

أكثرهم جهادا وأعمقهم إيمانا بحقوق وطنه ، وبين المتحدثين أكثرهم جاذبية وأشدهم إقناعا ـ لقد اكتملت فى يده أداة الفن فى شتى صورها ، فأرسل الأغانى تنساب حلوة النغم حافلة بالمعانى لتنفذ إلى القلوب وتستولى على الألباب ـ كان يتميز بفكر موسيقى وقلب موسيقى ، فجاءت كلماته موسيقى عذبة تستمد أنغامها من غناء الطبيعة الساحرة فى كل مظاهرها .

لقد ترك طاغور لمحبي الفن والأدب أكثر من ألف قصيدة وأكثر من ألفى أغنية بالإضافة إلى عديد القصص القصيرة والطويلة والمسرحيات والمقالات والبحوث التى عالجت موضوعات كثيرة ومختلفة ، فهو فى إنتاجه من حيث الكم لا يباريه شاعر آخر ، ومن حيث الكيف لا يرقى إلى مستواه إلا قلة من العباقرة ـ على أن إنتاج طاغور لم يقف عند هذا الحد ، فالشعر والأدب لم يستنفدا كل طاقاته الكامنة العارمة فعمد إلى الموسيقى يؤلف فيها ويفرغ بعض طاقاته ، وإلى الرسم ينفس عن بعض مكنون طاقاته الفنية ، ومن عجب أنه بدأ يرسم وهو فى السبعين من عمره ، ومع ذلك أنتج أكثر من ثلاثة آلاف لوحة بعضها فريد فى كماله الفنى .

هذا التنوع الفذ قلما اجتمع لشخص واحد ، ولكنه اجتمع فى طاغور ، لأن طاغوركان يؤمن بالحياة ويحبها ولا يزهد فيها ، كان يهب نفسه للكون باعتباره جزءا منه ، فعرف الكون وعرف الحياة ، وتفتحت له أسرار الوجود بالإيمان والحب والعمل . . .

هذا الإنسان الفريد الذى كرس حياته للإنسان ، واستلهم شعره

من روح الإنسان ، ومن رسالة خالق الكون للبشرية جمعاء ، ومن إيمانه العميق بأن كلمة الله العليا ورسالته للبشرية لن تدرك حق الإدراك إلا حين تسود الحرية وتتحقق العدالة الاجتماعية ، هذا الإنسان المؤمن بحق كل منا فى الحرية والعدالة الاجتماعية من حقه علينا وعلى الإنسانية التى وجه ضراعاته إلى مالك الملك لينقذها من مسالك الضلال ويهديها إلى الصراط المستقيم ، والتى أرسل أغانيه وأشعاره ليوقظها من سباتها وينهضها من كبوتها ، من حقه علينا فى ذكراه المئوية أن نعيد قراءة فيض خواطره ، وأن نردد أشعاره وأغانيه ، وأن نلقنها أبناءنا ونملأ بها جوانحهم ، ليشبوا مؤمنين برسالته عاملين على تحقيقها .

ووفاء لهذا الحق تصدر الإدارة العامة للثقافة بوزارة التربية والتعليم هذه المختارات من مقطوعاته الشعرية : وهى الهلال وشيترا وجيتنجالى والبستانى وجنى الثمار ومكتب البريد . وهى ترجو بهذا أن تكون قد ساهمت فى إحياء ذكرى هذا العبقرى ، فليس أحفظ للذكرى من إحياء فكر العظيم بمداومة قراءته حتى يستقر فى النفس إيمانا يحفز للعمل من أجل الحرية والسلام ورعاية حقوق الإنسان : تلك المبادئ التى آمن بها طاغور ودعا إليها فى :

* أيتها الأمم الفتية هبي وأعلنى صيحة الجهاد من أجل الحرية
* وارفعى راية الإيمان الغلاب الذى لا يقهر
* وأقيمى من حياتك معبرا يرأب صدع الأرض التى مزقتها الأحقاد والإحن
* ثم سيرى للأمام . . .

مصطفى حبيب

مقدمة المؤلف

تتكىء هذه المسرحية الغنائية المكتوبة عام ١٨٨٩ على القصة التالية المأخوذة عن (المهابهاراتا) .

فيما كان (أرجونا) يسعى فى مضطربه ، استجابة لنذر له ، توقف فى (مانيبور) وبصر ثمة بالحسناء (شيترا نفادا) ابنة (شيترا فاهانا) ملك المقاطعة ، ففتن بقسماتها وخطبها إلى أبيها واستوضحه (شيترا فاهانا) عن شخصه ، ولما عرف أن الماثل أمامه هو (أرجونا بانداما) قال له :

— إن (برابهانجانا) أحد أجدادى ، من الأسرة الملكية فى (مانيبور) ظل أمداً طويلا دون عقب ، فتكلف أنواعاً من النذور القاسية ليرزق بوريث . وسر الرب (شيفا) بما بلا به الملك نفسه من الجهد فحقق له رغبته ، على أن يقدر له ولكل ولد من أعقابه طفل وحيد، وقد حدث أن كل طفل موعود من سلالته كان غلاما ، غير أننى كنت أول من رزق بأنثى هى (شيترا انفادا) التى سيدوم بها نسلى ، وقد ربيتها كما لو كانت غلاما ، وجعلتها وريثة لى .

وتابع الملك كلامه قائلا :

— إن الغلام الذى سيولد منها ينبغى أن تنحدر منه سلالتى ،

هذا الغلام هو الثمن الذى سأطالب به ، لقاء هذا الزواج ، فلك أن تبنى بها إن شئت بهذا الشرط .

فوعده (أرجونا) بذلك واتخذ (شيترا نفادا) زوجاً له ، وعاش معها فى عاصمة أبيها أعواما ثلاثة ، ولما رزق منها بغلام ، عانقها بحنان ، وودعها ثم ودع أباها وانصرف عائداً إلى تجواله .



الأشخاص

الآلهة :

مادانا (أيروس) : إله الحب

فازانتا (ليكوريس) : إله الربيع

الفانون :

شيترا : ابنة ملك (مانيبور)

أرجونا : أمير من أسرة (كوروس) وهو من طائفة (كشاتريا) المحاربة ، يحيا فى المسرحية حياة ناسك فى الغابة .

قرويون : من ضواحى مقاطعة (مانيبور)

ملاحظة : مثلت هذه المسرحية الشعرية فى الهند دون أى تزويق مسرحى (ديكور) ، فكان الممثلون يلعبون ، يتحلقهم النظارة .

وقد وجهت حول عرض هذه المسرحية اقتراحات إلى المؤلف ، فأضاف إلى هذه الترجمة (التى أداها المؤلف نفسه بالإنكليزية) بعض الإيضاحات ، بيد أنه رغب فى أن تحذف حين تطبع المسرحية فى كتاب.

(المنظر الأول)

[شيترا ، مادانا ، فازانتا]

شيترا : أأنت الإله ذو السهام الخمسة ؟
أأنت إله الحب ؟

مادانا : أنا أول من ولد فى قلب الخالق .
أنا من يشد بقيود العناء والهناء
حياة الرجال إلى حياة النساء .

شيترا : أجل ، إن قلبي ليعرف هذه القيود
ويبلو هذا العناء .
وأنت ؟ من أنت يامولاى ؟

فازانتا : أنا صديقه ، فازانتا ، ملك الفصول .
إن الموت والفناء موكلان بالدنيا يكادان ينخران عظامها ، لولا أنى ألاحقها ولا أنى عن مهاجمتهما حيث ثقفتهما ، فأنا الشباب الخالد .

شيترا : مولاى فازانتا ، لك أحنى هامتى احتراما وتبجيلا .

مادانا : ولكن أى نذر عنى تكلفته ؟
أيتها المجهولة الرقيقة ،
علام تضوين صباك الفينان بالتقشف والزهد ؟
إن تضحية كهذه ، لا تأتلف مع عبادة الحب .

فن أنت ؟ وأية صلاة يرتل فوك ؟

شيترا : أنا شيترا ، سليلة الأسرة الملكية فى مانيبور .
لقد وعد الرب (شيفا) ، بنعمته الخيرة ، وعودا كريمة
لجدى الملك .
بذرية متصلة من الذكور ،
بيد أن الكلمة الإلهية
لم يتأتَّ لها أن تغير قبس الحياة فى بطن أمى .
لئن خلقنى ربى امرأة ، فقد أوتيت طبعاً عصى القياد .

مادانا : أعلم ذلك ، لهذا فإن أباك أنشأك كما لو كنت غلاماً ،
فعلمك النزع[1] فى القوس ، ولقنك واجبات الملوك .

شيترا : بلى ، لهذا فقد اتخذت دثار الرجال ،
وعزفت عن خدور النساء .
وإنى لأجهل حيل المرأة فى قنص القلوب .
إن يدىّ القويتين لقادرتان على عطف القوس .
أما سهام كيوبيد فلم أفوقها أبدا ؛
فأنا لا أعرف لحظ العيون ولم أتعلمها قط .

مادانا : لغة العيون لا تلقن أيتها الشابة الفاتنة ،
إنها تريش سهامها وتجرح بلحاظها دون أن تدرى .
ولا يدرك وقعها إلا الذين يتلقون طعنتها فى قلوبهم .

(١) نزع فى القوس : مدها وجذب وترها .

شيترا : ذهبت إلى القنص ذات نهار ،
وهمت وحدى فى الغابة على شاطىء نهر (بورنا) ،
وعقدت عنان جوادى بجذع شجرة .
وغبت فى دغل كثيف ، وراء غزال ،
فإذا بدرب ضيقة ، تتلوى فى فىء غصون متواشجة ،
وترتعش أوراقها على غناء الجداجد شغفاً ووجداً .
وفجأة .....
رأيت على الدرب شخصاً مستلقياً فوق الهشيم ،
طلبت إليه فى صلف أن يتنحى ،
ولكنه لم يرم .
وحينئذ همزته مزدرية بسية قوسى [1] .
فهبَّ ، وكأنه لسان من النار شبَّت بكوم رماد ،
واستوى ، قائماً مشيقاً ،
ونسمت على شفتيه ابتسامة سخر ،
لعل مردها ملامح الصبي التى كنت أبدو فيها .
عندئذ شعرت ، ولأول مرة فى حياتى ، بأنى امرأة ضعيفة .
وأن أمامى رجلا تتمثل فيه الرجولة الحقة .

مادانا : متى آن الاوان ، فإنى ألقن هذا الدرس السامى
لكل امرأة ورجل، ليعرف كل منهما حقيقة نفسه .

---

(١) سية القوس : طرفها .

وماذا جرى بعد ذلك ؟

شيترا : سألت فى خوف يمازجه عجب : ترى من تكون ؟
فأجاب : أنا أرجونا من قبيلة كوروس العظيمة الشأن .
عندئذ جمدت وتحجرت كأنني تمثال ،
وانعقد لساني ، ونسيت أن أؤدى له واجب الاحترام .
أحقا أراه ؟ أرى أرجونا ، معبود أحلامى .
أجل ، لقد سمعت منذ زمن بعيد أنه آلى على نفسه التبتل مدى اثنى عشر عاما .

لطالما هاج قلبي طموح الصبا ،
فتمنيت أن يتكسر رمحى على رمحه ،
فأستثيره وأنا متنكرة إلى القتال ،
لأريه حذقى فى المصاولة بالسلاح .
أواه يا قلبي المجنون ، أين غابت كبرياؤك ؟
لقد كان يتبدى لى ، كأثمن نعمة أفوز بها ،
أن أبادل بتعلات شبابي كلها ذرةً من التراب تطؤها قدمه .
ولم أدر فى أية دوامة من الخواطر قد تهت ،
حين توارى فجأة عن ناظرى خلف الأشجار .
يالك من امرأة حمقاء !
لم تقابليه بالتحية ، ولم تعتذرى إليه ،
وظللت ثمة واقفةً كريفية ساذجة ،
كان ينأى عنك مستخفاً بك ساخرا .

وفى الغد ، عفتُ ثيابَ الرجال ،
تزينت بأساورَ وقلادة وتمنطقت بزنار وارتديت غلالةً
أرجوانية .
وداخلنى الخجل من دثارى الجديد الذى لم أعتده ،
وانكفأت مسرعة أسعى فى طلاب أرجونا ،
فوجدته فى الغابة قريبا من معبد شيفا .

مادانا : تابعى قصتك حتى غايتها ،
أنا رب القلوب ، وإننى لأعلم أسرارها ودوافعها .

شيترا : إننى أذكر بصورة مبهمة ما قلت وما سمعت .
فلا تسلنى أن أروى لك كل شىء ،
إن الخجل قد انقضَّ على كالصاعقة ،
ولكن دون أن يتأتى له تمزيق
لصلابة جبلت عليها تماثل صلابة الرجال ،
ولما اتخذت سمتى عائدة إلى الدار جعلت كلماته الأخيرة
تنفذ إلى أذنى كإبر ملتهبة :
— لا يمكن أن أضحى زوجاً لك فقد نذرت نفسى على التبتل .
أواه ، يالنذر الرجال !
أنت تعلم لاريب يا إله الحب
أن الكثيرين من القديسين والحكماء قد أزجوا إلى قدمى
امرأة
كل ما نالوا من اعتبار وتقدير ، فى حياة ملأى بالتقشف .

وقصفت قوسى ، ونبذت سهامى إلى النار .
وكرهت ذراعى الفتية المرنة المدربة على شرعة القوس[1] .
إيه ، يارب الحب ، لقد استنزلت إلى التراب
كبريائى العقيمة ، كبرياء قوتى الفحلة .
إن مراستى كلها تقبع محطمة عند قدميك .
زودنى الآن بدروسك .
هبنى بأس الضعيف ،
وامنحنى السلاح الغلاب ، سلاح اليد العزلاء .

مادانا : سأكون صديقا لك ، وسأسوق إليك فاتح العالم أرجونا أسيراً ،
ليلقى على يديك جزاء تمرده .

شيترا : لو انفسح لدى الوقت لأتيح لى أن أظفر شيئا فشيئا بقلبه ،
دون أن أستمد عون الآلهة ،
فأقف إلى جانبه ، كرفيق له ،
أقود جياده العارمة التى تجر مركبته المحاربة ،
وأرافقه فى رحلاته إلى الطراد ،
فأحرسه وأسهر عليه ليلا أمام باب خيمته .
وأعينه على أداء واجبه ، كرجل من طائفة (كشاتريا) ،
ليحمى الضعيف وينتصف للحق ويقيم العدل .
وأخيرا ، سوف يقبل يوم يلمحنى فيه ، فجأة ،

(١) شرعة القوس : وترها .

وسوف يتساءل : من هذا الفتى ؟
تراه عبداً رقيقا من عبيدى ، قد لزمنى من قبل وتبعنى في مضطربى هذا ؟
لا ، لست كتلك المرأة التى تغذو يأسها بالصمت والعزلة ،
وتنضحه بعبرات الليالى ،
وتواريه بالبسمة الصابرة نهاراً .
ولا كتلك المرأة الأيم التى فطرت على الترمل منذ مولدها .
إن زهرة رغبتى لن تتهاوى إلى التراب قبل أن تؤتى أكلها .
إن كدح الحياة كلها هو الذى يمكننا من معرفة ذاتنا الحقيقية وإكبارها .
لهذا قصدت بابك أيها الحب ،
يا من قهرت العالم ،
وأنت ؟ فازانتا يا إله الربيع ،
اجتث من جسمى الفتى عيبه الأول : فقدان الملاحة الآسرة .
هبنى فى يوم واحد فقط ،
جمالا ذا أسر يماثل أسر هذا الحب الوليد المفاجىء فى قلبى .
إيه يا إله الحب ، امنحنى يوماً قصيراً أهنأ فيه بالجمال الكامل ،
أتبعك ملبية فى جميع الأيام التى تليه .

مادانا : أيتها الفتاة ، لقد استجيب دعاؤك ،

فازانتا : إن سحر براعم الربيع الطلق ،
سوف يسربل جسمَك الناضر ،
لا فى أمد قصير من يوم عابر ،
بل فى مدى عام كامل .

(المنظر الثانى)

[أرجونا ، شيترا]

أرجونا : ترانى كنت أحلم ؟
أم أن ما رأيت على ضفاف البحيرة كان حقيقة ؟
كنت قد اقتعدت الأرض المكسوة بالطحلب ،
ناعماً بالظلال المتطامنة من المساء ،
مفكراً فى الأيام الخالية ،
حين خرج من غور عتمة الأوراق
طيف من الجمال كامل نقى ، طيف امرأة
وقفت على سيف الماء ، فوق بلاطة بيضاء من حجر ،
فكأن قلبَ الأرض كان يخفق جذلان تحت قدميها
العاريتين .
وكان يخيل إلى أن الغلالة الهفهافة التى تلف جسدها
تذوب نشوةً فى الفضاء ،
كما تذوب غمامة الفجر
الذهبية المنزاحة عن قمة الرابية الشرقية المكللة بالثلج .
وانحنت على المرآة المتلألئة من ماء البحيرة ،
وجعلت تديم النظر فى وجهها المنعكس على صقال الماء

وانتصبت واقفة فى وجل ،
وخفقت على شفتيها ابتسامة عذبة ،
ثم حلَّت يدها اليسرى غدائرَ فرعها فى هينة ومهل ،
فانسابت أثيثةً حتى لامست قدميها ،
وكشفت عن صدرها وأمعنت النظر فى ذراعيها اللتين صيغتا
من الكمال الذى لا تشوبه شائبة .
وأخذت ترنو حانية الرأس إلى تفتح صباها الطرى ،
وتتطلع إلى حمرة الحياة اليانعة المترقرقة فى إهابها الغض .
وكانت تشع بجذوة مفاجأة سارة ،
ولو أن برعما من زهر اللوتس الأبيض فتح عينه حين
يسفر الفجر ،
ثم لوى جيده ، ليرامق ظلها على صفحة الماء ،
لبقى سحابة يومه مأخوذاً متحسراً على نفسه . على أن البسمة
لم تلبث أن تلاشت بعد لحظة من محياها ،
وغام فى عينيها ظل كآبة ،
فعقصت غدائرها ، وغطت ذراعيها بغلالتها ،
وآبت ، وهى تتنهد فى ونى ،
وغابت ، كمساء جميل يمحى فى الليل .
وهكذا خيل لى أن
التحقيق الأسمى للرغبة
قد تجلى كاملا فى ومضة

ثم لم يلبث حتى اختفى .
ولكن من ذا الذى يدفع الباب ؟

[تدخل شيترا المعبد ، فى زى امرأة]

أرجونا : إنها هى مهلا أيها القلب ،
لا تخافى أيتها الفتاة فأنا من طائفة (كشاتريا) ،

شيترا : أنت ضيفى ، يا مولاى المبجل . إننى أسكن هذا المعبد .
كيف أستطيع أن أحوطك بالإكرام الجدير بك ؟

أرجونا : أيتها الغادة الحسناء ، إن مرآك هو فى الحق أسنى إكرام .
ترى أأقدر أن أتجه إليك بسؤال ، إن لم يسؤك ذلك ؟

شيترا : لك أن تسأل .

أرجونا : أى نذر قاس يلزمك أن تظلى حبيسة فى هذا المعبد المنعزل ،
ويحرم الناس الفانين من اجتلاء هذا السناء البهى .

شيترا : تكمن فى قلبى رغبة خفية ،
وأنا اتجـــه كل يوم بصلاتى إلى الإله شيفا لتحقيق هذه الرغبة .

أرجونا : أية رغبة تتشوقين إليها أنت يا رغبة الكون كله ؟
لقد ضربت أيتها الفتاة فى كل مراد من الأرض سائحاً ، متجولاً ،
من أقصى الجبال فى المشرق ،
حيث تطبع على ذراها شمس الصباح أقدامها النارية ،

حتى منتهى أرض المغرب ،
ورأيت أنّى سعيت أسمى كل شىء وأثمنه وأحلاه ،
وإنى لأضع خبرتى تحت تصرفك
وما عليك إلا أن تذكرى لى عمّ أو عمن تبحثين ؟

شيترا : إن من أبحث عنه معروف من الناس كلهم .

أرجونا : أحقاً ؟ من هو صفى الآلهة هذا الذى اكتسح مجدُه قلبَك ؟

شيترا : إنه سليل أكرم الأسر الملكية نجاراً ،
إنه أعظم الأبطال كلهم .

ارجونا : سيدتى ، لا تضحى بكنز جمالك هذا على مذبح مجد زائف ،
إن الشهرة المزورة تنتقل من شفة إلى شفة ،
كضباب الفجر الذى يسبق مطلع الشمس ،
هلاّ قلت لى من هذا البطل العظيم سليل أكرم الأسر الملكية نجاراً ؟

شيترا : أيها الناسك ، إنك لغيور من صيت الرجال الآخرين .
أتجهل أن أسرة كوروس هى أشهر أسرة ملكية فى الدنيا ؟

أرجونا : أسرة كوروس ؟

شيترا : ألم يتصل بسمعك اسم أروع أسماء هذه الأسرة الملكية ؟

أرجونا : ذرينى أسمعه من شفتيك .

شيترا : إنه أرجونا فاتح العالم ،
لقد تلقفت هذا الاسم الخالد من شفاه الناس ،

وخبأته فى قلبى البكر خفيةً به حريصة عليه .
أيها الناسك ، ما بالك تبدو مضطرباً ؟
أيكون تألق هذا الاسم خداعاً ؟
أجب فلن أتوانى عن كسر سفَط قلبى(١)
لأقذف منه إلى التراب بهذه الجوهرة الزائفة .

أرجونا : لتكن مآثره وشجاعته واسمه حقيقية أو زائفة ،
حنانيك ، لا تقصيه عن قلبك ، إنه جاثم الآن أمام قدميك .

شيترا : أنت أرجونا ؟

أرجونا : أجل ، أنا هو الضيف الظامىء إلى الحب جاء يقرع بابك .

شيترا : إذن ليس بصحيح أن أرجونا قد نذر التبتل على نفسه طوال اثنى عشر عاما ؟

أرجونا : لقد نسخت أنت نذرى
كما ينسخ القمر الظلمة التى نذرها الليل على نفسه .

شيترا : أواه يا للعار ! ماذا وجدت لدى لتنقض نذرك وتخدع نفسك ؟
ماذا تبغى من هاتين العينين السوداوين وهاتين الذراعين البيضاوين كاللبن ؟
أجل ، أنا أعلم أنك لا تنشد حقيقة روحى ،
ما دمت مهيأ لأن تضحى بإخلاصك فى سبيل عينى وذراعى .

---

(١) السفط : وعاء تضع فيه المرأة حلاها .

لا يمكن أن يكون هذا هو الحب ،
ولا أسمى ثناء يسوقه رجل إلى امرأة ،
واأسفاه ، إن الجسد ، هذا القناع الزائل ،
قد يعمى الإنسان عن اجتلاء الروح الخالدة .
إننى أدرى الآن أن صيت بطولتك ، يا أرجونا ، هو
فى الحق زائف .

أرجونا : أواه ، كل شىء يتبدى لى بسبيل إلى الحلم .
يا لهذا المجد من مجد عقيم .
ويا لهذه الشجاعة المزهوة من شجاعة باطلة .
أنت وحدك أيتها المرأة الفريدة قد استشرفت الكمال ،
أنت يا غنى الكون ،
يا نهاية كل مترية ،
يا مطمح كل جهد .
من الناس من تستجلى معرفة نفوسهم فى أمد متمهل وئيد ،
أما رؤيتك فى لحظة خاطفة ،
فإنها استجلاء الكمال مرةً واحدةً تستغرق الدهر كله .

شيترا : واأسفاه ، لست ترانى أنا يا أرجونا ،
بل ترى خدعة لفنى فيها الإله ،
امض ، يا بطلى ، امض .
لا تتعلق بطيف مضلل ،
ولا تقدم قلبك الكريم إلى وهم ،
امض .

(المنظر الثالث)

[شيترا ، مادانا ، فازانتا]

شيترا : لا ، ليس هذا ممكنا ،

ليس فى مقدورى أن أقاوم هذه النظرة المتقدة التى تستبد بك ،

كأنها الأيدى الناشبة التى تعطوها الروح المتعطشة فى باطنى ،

وأن أشعر بوجيب هذا القلب وهو يناضل ليحطم أغلاله ،

مستثيرا كل جارحة فى بدنه بهذا الوجيب الواله .

ثم أن أصرفه عنى بعد ذلك كما لو كان شحاذاً ،

لا ، ليس هذا ممكننا .

[يدخل مادانا وفازانتا]

شيترا : أواه يا إله الحب ،

أى لهب جائح هذا الذى زملتنى به .

إننى أشتعل ، وأشعل كل شىء ألمسه .

مادانا : وددت أن أعلم ماذا جرى ليلة أمس ؟

شيترا : لقد اضطجعت فوق فراش من العشب ،

تتخلله أفواف من زهر الربيع ،

وأخذت أستعيد كلمات الغزل التى سمعت أرجونا يطرى بها جمالى مشيباً ،

وكنت أرتشف الشهد الذى جنيته نهارا ،
قطرة ،
فقطرة .
أما حياتى الماضية فقد أنسيتها
مع كل ما سبقها من وجود .
وشعرت كأننى وردة
لم يبق لديها سوى ساعات منقضية معدودة
لتصغى إلى الثناء العذب الذى تهمس به الغابة
ثم تحدر نظرتها من السماء ، وتغض طرفها ،
وتطرق برأسها ، وتنوء إلى صمتها ،
وتستسلم فى زفرة إلى التراب ،
خاتمة بذلك قصة صغيرة
للحظة كاملة ليس لها ماض ولا مستقبل .

فازانتا : إن حياة مديدة ثرة بالمجد
يمكن أن تنور ثم تصوح فى يوم واحد .

مادانا : كمعنى لا نهائى تضمنته أغنية صغيرة .

شيترا : وكان نسيم الجنوب يداعبنى ويسلس لى النوم ،
ومن خميلة ياسمين مزهرة دانية
كانت تتهاوى قبلات صامتة فوق جسدى ،
وفوق شعرى وصدرى وقدمى .
كانت كل زهرة تلتقى عشاً لتموت فيه .

وأخلدت إلى الكرى ،
وأحسست فجأة ، وأنا مستغرقة فى سبات عميق ،
بنظرة ماضية ثاقبة كأنامل النار الدقيقة
تلذع جسمى الراقد .
ونهضت .....
فإذا بالناسك يبدو ماثلا أمامى .
وكان القمر ، وهو يجنح إلى المغرب ،
يسارق النظر من فرجات الأغصان
أعجوبة الفن الإلهى : هذا المخلوق الإنسانى المتهافت .
وكان الفضاء عابقاً بالشذا ،
وكان صمت الدجى قد استعار صرير الجداجد صوتاً له ،
وكانت ظـــلال الأشجار تنداح رهوةً ساكنةً فوق ماء البحيرة .
وبدا الناسك ، وعصاه فى يده ، فارع الطول ساكن الجنان ،
كأنه أحد أشجار الغابة .
ومثل فى وهمى ، وأنا أفتح جفنى ،
أننى مت فى واقع الحياة ،
ثم بعثت فى أرض حالمة خيالية .
وشعرت بالحياء ينزلق حتى قدمى كأنه ثوب منسدل ،
وسمعت نداءه : إيه يا حبيبتى ، يا أحبَّ الناس إلى ،
وائتلفت لحظات حياتى الماضية المنسية فى كلٍ واحد ،

لتتجاوب مع ندائه .
وهتفت له : خذنى . خذ كل مالى من كيان .
وبسطت ذراعى إليه .
واحتجب القمر خلف الأشجار ،
وغلَّف ستار من الظلام كل شىء .
واندمجت الأرض والسماء والمدى والزمن ،
والهناء والعناء والحياة والمنية
فى نشوة عتيَّة .
وحينما هلت بشائر الفجر ،
وهتف الطير أولى تغاريده ،
استيقظت ،
وانحنيت فوق وجهه ،
وجلست متكئةً على ساعدى الأيسر ،
وكان مستلقياً غافياً ،
وعلى شفتيه كانت تسمو ابتسامة مبهمة
كأنها الهلال فى سماء الفجر .
وكان نور الصباح الوردى يحبو على جبينه النبيل . وتنهدت
ثم نهضت ،
وجمعت الغصون المعرشة المورقة
لأظلله بها وأدرأ عنه أشعة الشمس .
وأجلت طرفى حولى ،

فصافح عينى الربع القديم نفسه .
وتذكرت حالى من قبل .
وكغزال يفرق من ظله ،
أخذت أعدو وأعدو فى درب الغابة الممرعة بورود الشيفالى .
وجلست منزوية ً ،
ودفنت وجهى براحتى ،
وأردت أن أنشج وأنتحب ،
فلم تستهل عيناى بأية عبرة .

مادانا : واأسفاه ، يا ابنة الإنسان الفانى ،
لقد استللت لك من القبو المقدس
سلافة السماء الشذية ،
وأترعت منها كأس ليلة واحدة من ليالى الأرض ،
وناولتك الكأس لتنهلى منها ،
ومع هذا ، فإننى أسمع صرخة اليأس .

شيترا : [بمرارة] ولكن من الذى بلّ صداه منها ؟
إن التم النادر لمنى الحياة المتمثل فى الوصال الأول للحب
قد اتيح لى ، ولكنه انتزع من يدى .
إن الحسن المجلوب ، هذا السربال الخداع الذى يلفنى ،
سوف يتساقط من رأسى إلى قدمى حاملا من ذكريات
الوصال الشهى ،

كما تتساقط الأفواف من الوردة المنورة حين يقصف بها الريح .
وعندئذ، تقعد المرأة محسورة خجلى من عطلها السافر من الجمال
لتبكى وتنتحب ليل نهار .
يا رب الحب ، إن هذا التصور اللعين الذى جلوته لك ،
يلازمنى كأنه شيطان ،
ليحرمنى من كل متاع الحب .
من كل القبلات التى يتطلع إليها قلبى الظمى .

مادانا : واأسفاه، كيف ضاعت سدى وبلا جدوى ليلتك الفريدة هذه .
لقد اقترب زورق الهناء من شاطئك .
بيد أن الأمواج لم تدع له سبيلا ليرسو عند مرفئك .

شيترا : لقد تطامنت السماء ودنت منى ،
إلى مدى نسيت فيه لحظة أنها بعيدة عن متناول يدى .
ولكن ، حين أفقت صباحاً من حلمى
عرفت أن جسمى هو خصمى ،
وأضحت مشغلتى البغيضة : أن أزين جسدى كل يوم
لأوافى به حبيبى ،
وأرى إليه يحظى بإعجابه .
رباه . هلا استعدت نعمتك !

مادانا : ولكن إن استعدتها ، فكيف تلقين حبيبك ؟
ألا ترين أنها قسوة بالغة أن أنتزع كأس الهناء من بين شفتيه
وهو لم يكد يفرغ من حسو النهلة الأولى .

وترى بأى وجه غضوب برم سوف يلقاك بعد ذلك ؟

شيترا : لأن يلقانى غضوبا برما خير عندى من هذه الحال الخادعة .
سوف أكشف له عن حقيقة نفسى التى هى أنبل من هذا القناع ،
فإن صرفنى وازدرانى وصدع قلبى ،
فلسوف ألوذ بحزنى ساكتة راضية .

فازانتا : أعيرى سمعك لنصيحتى .
حين يهلّ الخريف ينعدم موسم الأزهار .
ويحل موسم النضج تتوجه الفاكهة .
كذلك سيأتى الوقت تلقائيا ،
الذى تذبل فيه زهرة الجسد المشبعة بالحرارة .
وعندئذ سوف يرضى أرجونا مغتبطاً
بالحقيقة الأزلية الناضجة الكامنة فيك ،
والآن هيا يا طفلتى ، كيما تستأنفى وليمتك الصاخبة .



(المنظر الرابع)

[شيترا ، أرجونا]

شيترا : إيه يا فارسى ،
لماذا تنظر إلى هكذا ؟
أرجونا : إننى أتأمل ، كيف تضفرين إكليلك ،
إن الرشاقة والرقة ، هذين التوأمين ،
يرقصان على أطراف أناملك .
إننى أرامقك وأفكر .
شيترا : فى أى شىء تفكر يا سيدى ؟
أرجونا : أفكر فى أنك تضفرين أيام غربتى
بالرقة نفسها ، برشاقة اللمسة نفسها ،
فى إكليل خالد تتوجيننى به حين نعود إلى البيت .
شيترا : إلى البيت ؟ ولكن حبنا لم يخلق للبيت .
أرجونا : لم يخلق للبيت ؟
شيترا : أجل .
أرجونا : لماذا ؟
شيترا : لا تتحدث إلى بهذا أبداً ،
انقل إلى بيتك القوة والاستقرار ،

دع الوردة الوحشية حيث ولدت ،
ذرها تمت نضيرة فى العشية
بين الورود الذابلة والأوراق الجافة .
لا تأخذها إلى قصرك
لتحبسها فى قاعاتك الحجرية ،
قاعاتك التى لا تعرف الرأفة بالأشياء الذاوية المنسية .

أرجونا : ترى ؟ أيكون حبنا كهذا النمط ؟

شيترا : أجل ، إنه لكذلك ، فلم الحسرة عليه ؟
إن ما أعدّ لأيام الفراغ ،
ينبغى ألّا يدوم أكثر مما تدوم .
إن الفرحة تنقلب إلى ألم
حين يغلق عليها الباب الذى كان فى ميسورها أن تمضى منه .
فأمسك بالفرحة واقتنصها حين تسنح لك ،
ولكن لا تدع بشم مسائك
يطالب لذة صباحك بأكثر مما تستطيع أن تبذل وتعطى .
لقد تجرم النهار ، فضع هذا الإكليل على رأسك .
أشعر بإعياء يا حبيبى ، فخذنى بين ذراعيك ،
ودع جدلنا الفارغ يتبدد فى اللقاء العذب من شفاهنا .

أرجونا : صه ، أصغى يا حبيبتى .
إن رنين الأجراس المبتهلة
يخلص إلى سمعنا من معبد القرية النائية ،
على أجنحة نسيم المساء
عبر الأشجار الصامتة .

(المنظر الخامس)

[فازاتنا ، مادانا]

فازاتنا : أنا لا أستطيع أن أتابعك يا صاحبي ، فأنا متعب ،
إن تأريث النار التي أضرمتها لعمل ناصب شاق ،
إنني أهوّم من النعاس ،
والمروحة تفلت من يدي ،
والرماد البارد يكسو وهج الجمر ،
وأستيقظ ، وأحاول بجماع قوتي
أن أذكي النار الوانية ،
ولكن هذه الحال لا يمكن أن تستمر .

مادانا : أنت طرف(١) ملول ، كطفل ،
إنك لاتني تلهو في الأرض والسماء .
وما تعنى ببنائه بتؤدة ومهل ، في أيام ،
تقوضه غير آسف ، في هنيهة .
غير أن مهمتنا تكاد تنتهي ،
فالأيام المجنحة بالسرور سرعان ما ترفرف ماضية ،
والعام الذي شارف ختامه
ينقضي في هناءة غامرة .

---

(١) الطرف : المتقلب .

(المنظر السادس)

[أرجونا ، شيترا]

أرجونا : وأفقت صباحاً فألفيت أحلامي قد استصفت جوهرة ،
ولم يكن بحوزتي سفط أحفظها فيه ،
ولا تاج أرصعه بها ،
ولا سلسلة أنوطها بها ،
ورغم هذا فإن قلبي يأبى أن أرمي بها بعيدا .
إن ساعدي الأيمن ، ساعد رجل من كشاتريا ،
ساعدي الذي يحملها في كسل وتراخ ،
ليتخلف عن أداء واجبه .

[تدخل شيترا]

شيترا : بماذا تفكر يا سيدي ؟

أرجونا : تغازل خاطري رحلة صيد أقوم بها اليوم .
انظري إلى المطر كيف يسح غزيراً كأنه السيل ،
ويجلد جانب الأكمة بضراوة .
إن الظل الأسود المتطاول من السحب
يجثم بوطأة على الغابة ،
والجدول المتدفق كالشباب المغامر ، يتخطّى السدود

فى ضحكة ساخرة .

لقد تعودت أن أذهب وإخوتى الأربعة
إلى غابة شيترا كا فى الأيام المطيرة كهـــذا اليوم لطراد الوحوش .
تلك أيام ضاحكة خلت .
كانت قلوبنا ترقص على هزم الرعد فى السحب المتوعدة ،
وكانت الغابات تتجاوب بصياح الطواويس ،
وكان هدير الشلال وهمس المطر
يحجبان عن سمع الظبى النفور
خفق خطانا القادمة .
وكانت الفهود تترك على الأرض الوحلة
آثار براثنها الواشية بدروب أوجرتها .
وكنا نتبارى فى أوبتنا إلى البيت
بخوض السيول المعربدة فى النهر سابحين .
إن هذه الروح المضطربة لا تزال كامنة فى نفسى ،
وإننى لأضطرم شوقاً إلى الطراد .

شيترا : تغلب أولا على طريدتك التى تتابعها الآن.
ولكن ، قل لى أواثق أنت بأن ظبيك الساحر الذى تتقصاه
لا بد أن يقنص ؟
لا ، ليس الآن . . . . .
إن هذا المخلوق الوحشى ليروغ منك ويمّحى كحلم .

في حين يتراءى لك أنه دان قريب .
انظر إلى المطر المجنون كيف يطارد الريح
ويلاحقها مصوباً إليها ألف سهم ،
ومع هذا ، فإنها تأبى الغلبة ، وتهب حرة ؟
كذلك طرادنا نحن ، يا حبيبي ،
إنك لتلاحق روح الجمال الشرود
مسدداً إليه سهامك كلها .
ومع هذا ، فإن هذا الظبي الساحر يعدو ،
ويظل دوما حراً سليماً .

أرجونا : حبيبتي ، أليس لديك بيت
تنتظر فيه قلوب برة عودتك إليه ؟
بيت ، ملأته بعنايتك الحلوة رقة وليانا ؟
بيت قد انطفأ نوره بعد أن هجرته
لتعوذي بعزلتك هذه ؟

شيترا : لم هذه الأسئلة كلها ؟
ترى ، أتكون ساعات الهناءة الغافلة قد انقضت ؟
ألا تعلم أنني لست سوى تلك التي تراها أمامك ؟
في تصوري أنه ليس لي وراء الحاضر خيال ولا ذكر .
إن قطرة الندى المعلقة على فوف زهرة الكينسوكا ،
لا تملك اسما ، ولا تستهدف قصدا أو غاية .
ومن ثم فليس في طوقها أن تجيب عن أي سؤال .

إن تلك التى تكلف بحبها تشابه هذه القطرة من الندى شبها تاما .

أرجونا : أليست لها صلة تشدها إلى هذا الكون ؟ حقا إنها
ليست سوى ذرة من السماء تهامت على الأرض
فى غفلة من الآلهة ؟

شيترا : أجل .

أرجونا : آه ، لهذا فإنه يخيل إلى دوما أننى أوشك أن أفقدك
إن قلبى لم يشبع ،
وفكرى لم يجد الطمأنينة والهدوء ،
ادنى منى أيتها الآبية العصى نوالها ،
واستسلمى إلى قيود الاسم والبيت والنسب ،
ودعى قلبى يشعر بك كلك .
وينعم معك بحب قرير آمن .

شيترا : علام هذه الجهود المبذولة عبثاً
للإمساك بشيات الغيوم ، برقص الأمواج ، بأريج الزهور ؟

أرجونا : سيدتى ، لا تأملى ، بهذه الكلمات الخفيفة الطائرة ،
أن تحدى من غلواء الحب .
امنحينى شيئاً أمسك به ،
شيئاً يبقى أكثر من الهناءة العابرة ،
شيئاً يدوم ولو أتى عبر الألم .

شيترا : يا بطلى ، إن العام لم يستوف ختامه بعد ،
ومع هذا ، فإنك برمت وتعبت !

إنها لنعمة من السماء أدركت قيمتها الآن فقط ،
أن تكون حياة الوردة قصيرة ،
لو كتب لجسدى أن يذوى ويموت
مع ورود الربيع الأخير ،
لقضى محفوفاً بالإكبار ،
غير أن أيامه معدودة يا حبيبي مع ذلك ،
فلا تفلتها .
استصف منه شهده كله ،
لئلا يعود إليه قلبك المستجدى ،
برغبته المستوفزة ،
كما تعود نحلة ظمأى ،
إلى ورود الصيف الذابلة المطروحة على التراب .

(المنظر السابع)

[مادانا ، فازانتا ، شيترا]

مادانا : هذه الليلة هى ليلتك الأخيرة .

فازانتا : غداً سوف توانى مفاتن جسدك
ثروات الربيع المختزنة التى لا تنفد ،
وإما تحررت أثارة شفتيك من ذكرى قبلات أرجونا
فلسوف تبرعم زوجين من أفواف زهرة الأسوكا الريا ،
وسوف تبعث نضرة إهابك اللدن الناعم
فى مئات من زهور الياسمين الفاعمة .

شيترا : إيه أيتها الإلهة ، لبى هذا الدعاء :
دعى جمالى الليلة يبذل فى ساعته الأخيرة ،
أروع بريقه ،
كأنه الألق الأخير من شعلة محتضرة .

مادانا : لقد استجيب دعاؤك

(المنظر الثامن)

[الفلاحون ، أرجونا ، شيترا]

الفلاحون : ترى من الذى يحمينا الآن ؟

أرجونا : أى خطر يتهددكم ؟

الفلاحون : إن عصابات من اللصوص ،
تندفع نحونا من الهضاب الشمالية ،
منحدرة كالسيل العرم ،
لتخرب قريتنا .

أرجونا : أليس لمملكتكم هذه حاكم ؟

الفلاحون : لقد كانت الأميرة شيترا ،
حاكمة مرهوبة من جميع الأشرار ،
ولم نكن نخشى حين كانت بين ظهرانينا
أى بأس ، فيما عدا الموت المعهود .

أرجونا : أتكون حاكمة بلدكم امرأة ؟

الفلاحون : أجل ، امرأة ، لقد كانت لنا أماً وأباً .

[ينصرف الفلاحون ، تدخل شيترا]

شيترا : لماذا تجلس منفرداً ؟

أرجونا : أننى أحاول أن أتمثل أى طراز من النساء
يمكن أن تكون الأميرة شيترا
لقد أنهى إلى كثير من الرجال قصصاً جمة عنها .

شيترا : آه ، ولكنها ليست رفافة الحسن ،
وليس لها عينان ساحرتان كعينى ،
عينان سوداوان كالمنية ،
إن فى مكنتها أن تصيب أى هدف ،
ولكنها لا تستطيع أن تصيب قلب بطلى ،

أرجونا : يقال إنها رجل فى شجاعتها وامرأة فى حنانها .

شيترا : فى الحق ، هذه هى مصيبتها الكبرى ،
حين تكون المرأة ، امرأة بكيانها كله ،
حين ترود حول قلوب الرجال ،
بابتساماتها ، بعبراتها ،
بعنايتها ، بعطفها الرقيق ،
فإنها تكون سعيدة .
فماذا تفيد من العلم والمآثر العظيمة ؟
لو أنك التقيت بشيترا مصادفةً فى درب الغابة أمس
قرب معبد شيفا ،
لتجاوزتها دون أن تحبوها بنظرة .
ولكن ، أتراك عفت جمالَ المرأة
إلى حد يحملك على أن تنشد لديها قوة الرجل ؟

لقد أعددت فى غار مظلم كالليل فراشنا الذى نأوى إليه
فى الظهيرة ،
من أغصان خضراء مخضلة برذاذ الشلال المزبد ،
وهناك سوف ترى من الطحلب الطرى الأخضر الذى يكسو
الحجر الأسود الندى ،
رطوبة عذبة ، لتلثم عينيك
وتهبهما النوم . دعنى أقدك إلى هناك .

أرجونا : لا يا حبيبتى ، دعى ذلك إلى يوم غير هذا .

شيترا : لم غير هذا اليوم ؟

أرجوانا : لقد تأدى إلى أن عصابة من اللصوص
تقترب من السهل .
علىّ أن أمضى وأعد سلاحى
لأحمى الفلاحين الخائفين .

شيترا : لا تخش بأساً عليهم ،
فإن الأميرة شيترا قد نصبت
قبل أن تفزع إلى هجرتها
حراساً أشداء على الحدود كلها .

أرجونا : دعينى أذهب لفترة قصيرة أؤدى فيها شعائر كشاتريا ،
إن ساعدى العاطل سيضحى ، إما تحلّى بمجد جديد ،
خير وساد لرأسك .

شيترا : وإذا أبيت عليك المضى ،

وتشبثت بك بين زراعى .
فهل تفلت من ضمتى قسرا وتدعنى ؟
اذهب إذن ،
ولكن ، اعلم أن غصن العريشة لا سبيل إلى التئامه
بعد أن ينقصف ،
إذا كان ظمأك قد ارتوى فامض ،
وإلا يكن فاذكر أن ربة اللذة متقلبة ،
لا تنتظر أى رجل .
ابق لحظة يا سيدى ،
قل لى ، أية أفكار قلقة تضنيك ؟
من يشغل ذهنك ؟
تراها شيترا ؟
أرجونا : أجل إنها شيترا ،
إننى أتساءل ، أى نذر غريب
قد حملها على الهجرة ؟
ترى أى رغبة يمكن أن تصبو إليها ؟
شيترا : أية رغبة ؟
ولكن أى شيء ظفرت به هذه المخلوقة التعسة ؟
إن خصالها الحقيقية هى جدران سجن يحبس قلبها .
قلب امرأة ،
فى زنزانة خاوية ،

إنها محجوبة لم تحقق ذاتها .
وما دامت عاطلة من الجمال ،
فإن حبها الأنثوى ليقنع بالتخفى وراء ثياب خلقة ،
كصباح جهم
يتكىء على قنة جبل صخرى ،
قد محت السحب الداكنة كل ضيائه .
لا تسلنى عن حياتها ،
لحديث حياتها لا يحلو فى أذن الرجل .

أرجونا : أنا تواق إلى سماع كل شىء عنها ،
إننى كرائد قادم فى موهن من الليل
إلى مدينة غريبة ،
فالقباب والأبراج والحدائق الغلب ،
تتراءى له غائمة مظللة ،
وتتردد زفرة البحر كئيبة بين الفينة والفينة ،
عبر صمت الكرى .
وإنه لينتظر بصبر نافد منبلج الفجر ،
لينفض له الروائع العجيبة كلها ،
إيه ، هلا سردت لى قصة شيترا .

شيترا : ليس ثمة شىء أقصه عنها .

أرجونا : يخيل إلى أننى أراها بعين فكرى ،
ممتطية صهوة جواد أبيض ،

يدها اليسرى تمسك تياهة بعنانه ،
ويدها اليمنى تجذب قوساً .
إنها تريق الأمل الرغيد حولها ،
كربة من ربات النصر .
وتحمى بشغف مفترس كلبؤة يقظى ،
أشبالها الراضعة من ضروعها .
إن ذراعى المرأة جميلتان ، إن ازداننا بالقوة الظافرة .
إن قلبي ليهتز ويحب ،
كثعبان يستيقظ من غفوته الشتوية .
تعالى ، ولنمتط جوادين سريعين .
يخبّان بنا جنباً إلى جنب ،
كنجمين وضيئين يشقان الفضاء .
لنهجر هذا السجن الهاجع .
لنحسر هذا الستار الرطب الصفيق لهذ السكرة العبقة
التى تخنق الأنفاس .

شيترا : أرجونا ، قل لى الحقيقة .
لو قدر لى الآن بأعجوبة ما ،
أن أتحرر من هذه الرقة المثيرة .
من هذه الوسامة الخجلى التى تفزع من لمسة الكون المترعة
قوة وعافية .
ثم أنزعها من جسدى كما أنزع ثياباً معارة .

تراك تحتمل ذلك ؟
لو تمكنت أن أنتصب مشيقةً مدلةً بقلب جسور .
مستهينةً بحيل الضعف الساحر وفنونه ،
وأن أرفع رأسي شامخة ،
كشجرة التنوب السَّحوق الفتية الجبلية ،
غير زاحفة على التراب كالعريشة ،
تراني أجتذب نظرات الرجال ؟
لا ، لا ، يا أرجونا ، لن تستطيع احتمال ذلك ،
إنني أوثر أن أدع كل الدُّمى الحلوة ،
دمى الشباب الهيمان منثورةً حولي ،
وأن أنتظرك صابرة . . . .
وحين يروق لك أن تؤوب ،
فلسوف أهرق لك ، وأنا أبتسم ،
خمر اللذة في كأس هذا الجسد البديع ،
وحين تروى من هذه الخمر وتملها ،
فلسوف تستطيع العودة إلى عملك أو إلى لهوك .
وعندما أضحى عجوزاً
فلسوف أنتبذ شاكرةً راضية أي ركن باقٍ لي .
أفلا يحلو لروحكَ الباسلة ،
أن تتشوف خدينة ليلك إلى أن تصبح رفيقة نهارك ؟

وأن تتمنى الذراع اليسرى مشاركة الذراع اليمنى القوية
بحمل عبئها ؟

أرجونا : أحسب أنه لن تتسق لى معرفتك أبداً .
تتراءين لى ربةً خبيئة فى تمثال ذهبى ،
لا أجرؤ على لمسك ،
لا أقدر أن أفى بما يجب علىّ نحوك لقاء هباتك الثمينة ،
لهذا ، فإن حبى يظل دوماً ناقصاً .
وألمح أحياناً فى الأغوار الدفينة من نظرتك الحزينة ،
وفى كلماتك اللعوب الساخرة من معانيها نفسها ،
ألمح مخلوقةً جديدةً تحاول أن تدمّر رقة جسدها المضنية ،
ثم تشرئب مغلفة بالبسمات الطلية ،
وتطفو فى نار الألم النقية .
إن الوهم هو أول مظاهر الحقيقة ،
فإنها تدنو متنكرة من الحبيب ،
ولكن يقبل يوم تجفو فيه زينتها وقناعها ،
وتنتصب واقفةً متلفّعةً بأنفتها الكثيفة .
إننى أستقرئ الحقيقة فى بساطتها العارية ،
أستقرئ كمالها النهائى فيك أنت ،
شيترا ، علام تنهمل هذه الدموع ؟
لماذا توارين وجهك براحتيك ؟
ترانى آلمتك أيتها العزيزة ؟

انسى ما قلت لك ، سأرضى بما لدى .
دعى كلّ لحظة من لحظات الجمال تقبل نحوى . . .
كعصفور مبهم يهفو من عشه الخفى ،
حاملا رسالته المجنحة بالنغم .
دعينى أستمسك بأمنيتى دوماً ،
فلعلها أن تتحقق يوما ،
وأنهى بها أيامى .



(المنظر التاسع)

[شيترا ، أرجونا]

شيترا : (مرتدية معطفا) إيه يا رب ، أتكون الكأس قد فرغت ،

حتى آخر قطرة من ثمالتها ؟

أهذه هي النهاية حقاً ؟

لا ، حين يولى كل شيء ،

فإن بعضاً منه يبقى .

إنه آخر تضحية أزجيها إلى قدميك .

لقد قطفت من حديقة السماء

ورودا لا مثيل لروائها ،

لأرفعها صلاةً إليك يا مليك قلبي ،

فإن انتهت العبادة وذوت الورود ،

فدعني أنبذها خارج المعبد .

[تنضو شيترا معطفها وتبدو في دثار رجل]

انظر الآن بعين الرفق إلى معبودتك ،

لست أملك الجمال الكامل الذى ترتع به الورود المقدمة إلى العبادة ،

إن فى بردتى عيوباً ونقائص ،

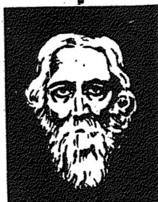
إننى كرائد يهيم فى طريق الكون المنفسحة الكبرى ،
ثيابى ملوثة وقدماى داميتان بالأشواك .
ترى أين أظفر بوردة الجمال ؟
بالألقة الصافية ، ألقة لحظة الحياة ؟
إن الهدية التى أقدمها إليك فى خيلاء هى قلب امرأة ،
قد ائتلفت فيه الآلام والهناءات ،
والتقى فى حناياه خفر فتاة الأرض وتعلاتها ومخاوفها .
وانبجس منه الحب الذى يتوق إلى الحياة الخالدة ،
وانساب فيه النقص ، ولكنه النقص النبيل السامى .
سيدى ، إن انتهت صلاة الورد ،
فاقبل هذه الوردة ، كخادم للأيام المقبلة .
أنا شيترا ، ابنة الملك ..
لعلك أن تتذكر تلك المرأة التى قدمت إليك ، فى معبد شيفا ،
وكانت رافلة بحليها وزينتها .
لقد سعت إليك هذه المرأة الجريئة
لتطارحك الحب كما لو كانت رجلا ،
فصددتها ...
وحسناً فعلت ...
إيه يا سيدى ، إننى تلك المرأة .
لقد كانت لى قناعاً ،

ولقد تمتعت بفضل الآلهة ، فى مدى عام واحد ،
بأروع جمال حظى به أى إنسان فان .
بيد أن قلب بطلى قد ناء بعبء هذه الخدعة .
وفى الحقيقة ، لست تلك المرأة .
أنا شيترا ...
لست ربة تعبد ،
ولا شيئاً جديراً بالرأفة
يطرح دون اكتراث كأنه فراشة
فإن شئت أن تقبلنى إلى جانبك
فى درب الخطر والإقدام ،
وسمحت لى بأن أشاركك
فى واجبات حياتك الجسام ،
فسوف تدرك آنذاك حقيقة ذاتى .
وإن رزقت منك بمولود ذكر ،
فسوف أعلمه أن يصبح أرجونا الثانى . . .
وحين يأزف الزمان فسوف أبعث به إليك ،
وسوف تتم لك حينذاك معرفة نفسى .
ليس لدى اليوم ما أقدمه إليك سوى شيترا . . .
شيترا ابنة ملك . . .

أرجونا : إيه يا حبيبتى لقد أترعت كأس حياتى .

[انتهى]

مطابع دار القلم بالقاهرة



طاغور

نسجل للإدارة العامة للثقافة بوزارة التربية والتعليم بالأقليم الجنوبى إسهامها فى الاحتفال بالذكرى المئوية لمولد الشاعر رابندرانات طاغور الشاعر الهندى العظيم الذى نافح عن الإنسان بعد أن آمن به كل الإيمان حتى قال فيه : « مهما يكن من شيء فإنى لن أرتكب الخطيئة الخطيرة .. خطيئة فقدان الإيمان بالإنسان ».

ونسجل للإدارة العامة للثقافة توفيقها فى اختيار هذه الروائع من شعره لتصدرها فى ذكراه هذه التى يحتفل بها الشرق والغرب على السواء ، وفاء لحقه على الإنسانية جمعاء .

ويسر دار القلم أن يكون لها شرف نشرها وتقديمها لقراء العربية الأعزاء .

هذه الروائع هى :—

- البستانى
- الهلال
- جنى الثمار
- جيتنجالى
- البيت والعالم